حوار المرأة في القرآن وأساليب الإقناع فيه

Women's dialogue in the Qur'an and methods of persuasion in it

Prof. Dr. Bushra Abdul Majeed Taktfirast
Professor of Higher Education
Specialization in literary criticism and curriculum studies
Faculty of Arabic Language
University of AlQadhi Ayyadh
Morocco
The Kingdom of Morocco

Abstract

The dialogue of woman in the Holy Qur'an is a form of direct interaction in the persuasive discourse which is distinguished by its ingenuity in taking into account the conscience of the addressee and his dialogue with people according to their thinking levels in addition to its quality of having high influence and persuasion on the hearts and minds. The style of dialogue of woman in the Holy Quran is very influential because it is from Allah Almighty who is master of art of persuasion which He describes in his words: "Allah has the ultimate argument."

We have chosen the topic of the dialogue of woman in the Holy Quran to shed light on its distinction, uniqueness in the beauty of the format, the artistry of the phrase, its truthfulness, the craftsmanship of the formulation and its arrangement, in addition to the methods of persuasion in it, and before that, the contextual and external evidence surrounding the production of this dialogue as a guide to understanding the semantic dimensions that transcend the literal meaning towards opening new horizons of interest, and to aware the secrets of the soul, and society, and observing the temporal and spatial relations in which this dialogue took place, and the emotional impact that serves persuasion while highlighting its linguistic and logical means.

Keywords: dialogue of woman, the Holy Qur'an, influence, persuasion.

يعتبر حوار المرأة في القرآن الكريم شكلا من التفاعل المباشر في الخطاب الإقناعي، لما اتسم به من براعة في مراعاة وجدان المخاطب ومحاورته للناس حسب فئاتهم، إلى جانب تميزه بتقنية عالية من التأثير والإقناع... يغلب عليه الطابع العفوي وهيمنة الجانب العاطفي، وبلاغة الجانب اللغوي، وعلو في سبك الحجج الاقناعية بطريقة عقلية منطقية، خاصة وأن مخاطبة القلوب والعقول تتطلب امتلاكا لناصية القول، وإتقا لفن الإقناع "فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ "[1]...

اختارتنا الاهتمام بحوار المرأة في القرآن الكريم، لنقف على تميزه وتفرده في جمال النسق وفنية العبارة وصدقها، وبراعة الصياغة وترتيبها، وأساليب الإقناع فيه، وقبل ذلك الوقوف على القرائن السياقية والمقامية الخارجية المحيطة نتاج هذا الحوار عتبارها الموجه لفهم الأبعاد الدلالية المتجاوزة للمعنى الحرفي نحو فتح آفاق جديدة للاهتمام، ومعرفة أسرار النفس والمجتمع، ومراقبة العلاقات الزمانية والمكانية التي حدث فيها هذا الحوار، وحصل فيها التأثير العاطفي الذي يخدم الإقناع مع إبراز وسائله اللغوية والمنطقية...

أساليب الإقناع في حوار المرأة في القرآن الكريم

لا أحد يجهل ما خص به القرآن الكريم المرأة من حقوق تحفظ حقها، وتصلح حالها وترفع من شأنها وقيمتها... وقد أكرمها حين خص ما يزيد عن عشر سور لها، منها: التي تحمل اسمها كسورة النساء وسورة مريم ومنها التي تحمل قضا خاصة بها ...

ولا أحد ينكر أن القرآن الكريم أنصفها وأكد مساواتها للرجل في الخلق مصداقا لقوله تعالى:" ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [2]

ولا أحد ينكر مكانة خطاب المرأة في القصص القرآني وما تميز به من براعة في القول ، ومنازعة الخصوم قصد الظفر لحجة و كيد الحوار، ومنهن:

أولا: سارة زوجة ابراهيم الخليل

حاورت سارة[3] بعقلها الراجح وإيمانها القوي الملائكة، فرسمت خطوات الحوار الناجح في آ ت من سورة هود.

أ- القرائن السياقية في حوار سارة امرأة إبراهيم:

ولد إبراهيم عليه السلام في أرض " أرو" جنوب العراق، في بيئة يعتنق أهلها عبادة الأصنام، ويحترفون صناعتها أ م الملك النمرود بن كنعان، وكان والده آزر ممن برع في صناعة هذه التماثيل وكان مر ابنه إبراهيم ببيعها، لكن عندما شب أخذ ينكر على قومه هذه العبادة الضالة المضلة... بدأت المعركة بين إبراهيم عليه السلام وأهل الكفر والطغيان بعد أن تسلح لحق والمنطق حينما هيأ له الأسباب، فاتخذ أساليب الحكمة والموعظة مع والده لكن والده أصر على غيه وجهالته[4].

بعد أن اشتد بطش قومه عليه... قرر أن يهاجر فارا بدينه مع زوجته سارة... فتوجه صوب بلاد الشام حتى حل به المقام في فلسطين... جاءت سنوات عجاف فرحل إلى مصر... لما رأى الملك الفرعوني سارة زوجة إبراهيم أرادها لنفسه، لكن يسر لها النجاة من هذا الطاغية، بل قدم لها أمة تدعى هاجر لتخدمها، فعاد الخليل ومعه زوجته سارة وأمتها هاجر إلى منطقة الخليل، واستقر مقامهم فيها[5].

بعد عشرين عاما من الزواج لم تنجب سارة لإبراهيم ولدا فقالت لزوجها: أرى أن تتزوج هاجر عسى أن يرزقنا منها غلاما، ففعل فرزقه منها إسماعيل عليه السلام، فدبت الغيرة في نفس سارة فطلبت من زوجها تغييب الأم وابنها عن وجهها، فقام إبراهيم لسير بهما نحو الجنوب إلى موضع مكة المكرمة، فتركهما هناك وعاد بعد أن دعا لهما بدعوة طيبة[6]...

شاء عز وجل أن يكون لإبراهيم عليه السلام ابن آخر، لكن هذه المرة من زوجته سارة وذلك بعد أن بشرها بقدومه، وقد كان إنجاب سارة لإسحاق أمرا إلهيا

ومعجزة، حيث كانت قد قاربت التسعين من العمر، وإبراهيم قد أ ف عمره على المائة وعشرين، وهو الابن الثاني له، ومن نسله جاء بنو إسرائيل لقوله تعالى: "وجعلنا في ذريته النبوة"[7]... وعن بشرى مولد إسحاق عليه السلام يذكر تعالى أن الملائكة كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم أولا ضيوفا، فعاملهم معاملة الضيوف، فقدم لهم الطعام لكن لم ير لهم همة إلى الأكل، وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام فنكرهم إبراهيم " وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّ أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ" أي لندمر عليهم[8].

فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا لله عليهم، وكانت قائمة على رؤوس الضيوف، فلما ضحكت استبشارا بذلك، قال تعالى:"فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ"[9] أي بشرتها الملائكة بذلك " فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ"[10] أي في صرخة " فَصَكَّتْ وَجْهَهَا"[11] أي كما يفعل النساء عند التعجب وقالت: " يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا"[12] أي كيف يلد مثلي وأ كبيرة وعقيم أيضا، وهذا بعلي أي زوجي، شيخا؟ ولهذا قالت: "إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ"[13] قالوا: "أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"[14].

وكذلك تعجب إبراهيم عليه السلام استبشارا بهذه البشارة وتثبيتا لها وفرحا بها،" قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ، قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ."[15] أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه، فبشروهما " بِغُلَامٍ حَلِيمٍ"[16] وهو إسحاق أخو إسماعيل، غلام حليم مناسب لمقام صبره، وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر[17].

فقوله تعالى:"فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق، ثم من بعده بولد ولدها يعقوب. أي يولد في حياتهما لتقر عينهما به كما قرت بوالده. ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص

التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة، ولما عين لذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بمولده كما سرا بمولد أبيه من قبله.

كانت هذه هي الظروف المتعلقة بحوار امرأة إبراهيم عليه السلام، فكل شيء مما ذكر عن قصة إبراهيم وزوجه من زمان ومكان وظروف سياسية واجتماعية، له لغ الأثر في توجيه أساليب الإقناع نحو الوجهة الصحيحة.

ب- أساليب الإقناع اللغوية في حوار سارة امرأة إبراهيم:

1-الجمل الإخبارية:

التي تحمل خبرا يفيد المتلقي يحتمل أن يكون صادقا أو كاذ ومنها:

- الخبر الابتدائي: " فأقبلت امرأته في صرة"، هو إخبار عن فعل ماض منجز، وتبيين لحال زوجة إبراهيم عليه السلام بعدما علمت بهلاك قوم لوط، و بخبر المولود الذي ستحمل رغم عقمها و كبر سنها.
- الخبر الإنكاري: " إن هذا لشيء عجيب"، اعتمدت فيه زوجة إبراهيم مؤكدين "إن" و"اللام"، دلالة على شدة تعجبها، إلا أن تعجبها ليس فيه إنكار لقدرته عز وجل، و إنما هو تعجب من أن تلد بعد عقمها في الصبا وكبر سنها، والدليل رد الملائكة على كلامها بقولهم:" أتعجبين من أمر ".

2-أسلوب النهي:

لأسلوب النهي أغراض بلاغية، ومن بين هذه الأغراض أن تي لبعث الطمأنينة والسكينة في قلب المخاطب، و ليس فقط النهي على سبيل المنع والتحريم، ومثال ذلك ما جاء على لسان ضيوف إبراهيم عليه السلام:" لاَ تَخَفْ إِنَّ أُرْسِلْنَا إِلَىقَوْمِ لُوطٍ "[18] فلما رأى إبراهيم عليه السلام ضيوفه لا كلون ما قدمه من طعام أوجس منهم خيفة " قَالَ إِنَّ مِنْكُمْ وَجِلُونَ"[19] فجاء نهيهم له عن الخوف " لا تخف" تسكينا لفؤاده عليه السلام، أما قولهم:" إِنَّـنُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ"[20] فهو استئناف لتعليل النهي عن الخوف.

3- أسلوب الاستفهام:

إذا كان الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، واستخبار بطلب الفهم... فقد يخرج عن هذا إلى أغراض أخرى كالتعجب والتحقير والاستبعاد وغيرها، من ذلك:" أألد وأ عجوز وهذا بعلي شيخا" استأنف استفهام زوجة إبراهيم بهمزة يليها المسؤول عنه وهو وقوع الحمل والولادة، وقد تقدم لفظ الولادة بعد همزة الاستفهام للتبئير والتركيز عليه لأهميته، ذلك أن الجملة بما فيها من مسند إليه ومسند ومتعلقات متعددة يصلح كل واحد من ذلك أن يشك فيه وأن يسأل عنه.

واستفهام زوجة إبراهيم عليه السلام استفهام غرضه التعجب، وجاء كردة فعل عن بشارة الملائكة لها لحمل، وليس استنكارا لقدرته عز وجل، وقد بررت تعجبها لها عجوز عقيم و أن زوجها شيخ كبير.

ج- أساليب الإقناع شبه منطقية:

سس حوار سارة امرأة إبراهيم على بنية استدلالية منطقية، تقوم على مبدأ التعليل والاستدلال، فقد اعتمدت في جوابها عند علمها بخبر حملها من الملائكة على حجج اقناعية منطقية معللة" أألد وأ عجوز وهذا بعلي شيخا" فهي عقيم وهي عجوز، مما يقتضي عدم حملها وعدم قدرتها على الإنجاب، وهو شيء منطقي مطابق للواقع، إلا أن جواب الملائكة كان أيضا جوا كافيا معتمدين حجة السلطة " قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ"[21]، فقدرته عز وجل تتجاوز كل القيود المنطقية.

ثانيا: زليخا امرأة العزيز

أ- القرائن السياقية في حوار زليخا امرأة العزيز:

وقعت أحداث هذه القصة في الفترة التي تعرضت فيها مصر لغزو البدو والرعاة الذين عاشوا في الشرق من مصر، وأطلق عليهم المصريون اسم الهكسوس أي الملوك الرعاة، وكان ذلك خلال حكم المملكة الوسطى حيث سيطروا خلالها على البلاد زهاء

قرنين من الزمن، وقد بعث إ ن نفوذهم السياسي على مصر نبي يوسف بن يعقوب عليه السلام، والذي أصبح وزيرا للمالية خلال هذه المملكة[22]...

اتخذت امرأة العزيز[23] يوسف ولدا من يوم ما قال لها زوجها: "أَكْرِمِي مَثْوَاهُ"[24] وجعلت تخدمه بنفسها إلى أن بلغ مبلغ الرجال فعشقته، ووقع حبه في قلبها إلى أن بلغ مبلغ الذي قال تعالى:" قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا"[25].

ويذكر في القرآن الكريم ما كان من مراودتها ليوسف عليه السلام عن نفسه، وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه، وتهيأت له وتصنعت... دعته إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص، فقال:" مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي" يعني زوجها صاحب المنزل سيدي " أَحْسَنَ مَثْوَايَ" وأكرم مقامي عنده " إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"[26].

فالله عز وجل عصم يوسف عليه السلام وبرأه، ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، ولهذا قال تعالى:" كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"[27] فلما هرب يوسف عليه السلام فرارا منها اتبعته في أثره وألفيا زوجها لدى الباب، فبادرته لكلام وحرضته على يوسف فقالت:" مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[28] اتهمته وهي المتهمة، وبرأت عرضها ونزهت ساحتها، فلهذا قال يوسف عليه السلام:" هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي"[29]..."وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا" فقال:" إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ"[30] أي يكون قد راودها فدافعته حتى قدت مقدم قميصه" وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ"[31] أي يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه فانشق قميصه لذلك، وكذلك كان، ولهذا قال تعالى:"فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"[32] أي هذا الذي جرى من مكركن، أنت راودته عن نفسه، ثم اتهمته لباطل.

ثم أضرب بعلها عن هذا صفحا فقال:" يُوسُفُ أَعْرِضْ"[33] أي لا تذكر ما وقع لأحد، لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن، وأمرها لاستغفار لذنبها الذي صدر منها والتوبة إلى ربها.

أظهرت تفاصيل القصة في حوار مفعم بحرارة الإقناع، كيف دافع كل طرف عن نفسه؛ وكيف أظهر سبحان الحق على لسان شاهد من أهلها...

ب- وسائل الإقناع اللغوية في حوار زليخا امرأة العزيز:

1- الجمل الإخبارية:

* **الخبر الابتدائي:** تكرر هذا النوع من الخبر بكثرة في حوار امرأة العزيز ومثال ذلك:

- قولها: " أَ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ"[34] وهو اعتراف منها وإخبار عن ما أقدمت عليه من معصية، وقد جاء خليا من المؤكدات لأن اعتراف المذنب بذنبه لا يحتاج كيدا، كما أن الضمير المنفصل "أ " فيه قصر للفعل عليها وحدها وتخصيص لها.

- قول يوسف عليه السلام دفاعا عن نفسه: " هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّ فْسِي"، "هي" فيه قصر للمراودة عليها دونه.

- قول الشاهد: " وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ... وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ" أيضا خبر ابتدائي تضمن الحكم لإدانة أو البراءة.

- قول النسوة في المدينة:" امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نفْسِهِ"[35] إخبار خال من المؤكدات لتموضعه في موضع لا يحتمل التشكيك، أريد به السخرية من امرأة العزيز.

* **الخبر الطلبي:** ومثاله في حوار امرأة العزيز: " إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[36]، وقد جعلته في آخر اعتذارها طلبا للعفو والمغفرة من ربها، وقول العزيز لها: "إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم"[37] وفيه كيد لبراءة يوسف عليه السلام.

* **الخبر الإنكاري:** ومثاله:

- قول النسوة تهكما مرأة العزيز: "إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[38]، فقولهن جاء مؤكدا بمؤكدين "إن" و"اللام" استنكارا لفعل امرأة العزيز.

- قول امرأة العزيز تبرئة ليوسف:" وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"[39]، جاء مؤكدا بمؤكدين "اللام" و"إن"، لأن لا يكون شك أو ريب في براءته عليه السلام.

- قولها أيضا:" إِنَّ لِلنَّفْسَ لأَمَّارَةٌ لِسُّوءِ"[40]، جاء مؤكدا بمؤكدين في سياق الاعتذار، ملتمسة لنفسها العذر في ما أقدمت عليه.

2- أسلوب الاستفهام:

استطاع الاستفهام في حوار "زليخا" أن ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس ليبعث المتلقي على شتى الإيحاءات ومنه قولها: "مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" بعدما وجدت سيدها لدى الباب أثناء مراودتها ليوسف عليه السلام، توجهت إليه بسؤال حقيقي، لتصرف التهمة عن نفسها وتبعد شكوك زوجها دانتها، ولتشغله لبحث عن جواب لسؤالها، الذي ضمنته صورة المرأة المظلومة... وقد تضمن سؤالها نوع العقوبة التي تريدها ليوسف لتزيد من إبعاد التهمة عنها، ولتوجه جواب زوجها نحو اختيار أحد العقوبتين " أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، إلا أن العزيز لم يتسرع لجواب لشكه في صدق كلامها، ويوسف أيضا لم يخدع بكلامها ونفى التهمة عن نفسه بقوله: " هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَفْسِي".

3- أسلوب الشرط:

كان لأسلوب الشرط دور حاسم في تبيين براءة يوسف عليه السلام، وحجة دامغة لامرأة العزيز وذلك في قوله تعالى: "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ" ، فقدُّ

القميص من الدبر أ ن عن براءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه، كما أن كون شهادة شاهد من أهلها أقوى وأبلغ.

4- أسلوب الأمر:

الأمر في حوار امرأة العزيز جاء أغلبه على جهة الاستعلاء، ومثاله:

- قولها ليوسف: "اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ" أمر مباشر يقتضي الطاعة وتنفيذ الأمر، وقد نفذ يوسف الأمر بدليل خروجه "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ".
- قول عزيز مصر ليوسف: " يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"، وقد امتثل يوسف عليه السلام لأمر سيده، فبعدما استوثق من براءته أمره لسكوت حفظا لعرضه وشرفه، وأمر زوجته لاستغفار.

5- أسلوب القسم:

توسل القسم في القول يكون لغاية التأكيد، وإثبات الصواب، والنفي للشك والريبة. وإذا كان القسم لا ينجح أحيا في حمل المخاطب على التصديق فإنه يبعث المرء على التفكير القوي فيما ورد القسم من أجله.

وقد لجأت " زليخا" للقسم لتجبر يوسف عليه السلام على الانصياع لأوامرها، فهددته لسجن " وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ"[41]، وهذا الخبر من يدل على أنها عاودت مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه، وتوعدته لسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه، فاختار السجن على ما دعته إليه، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك[42]، كان محالا أن يقول: " رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"[43].

6- أسلوب التأكيد:

تنوعت المؤكدات في حوار امرأة العزيز، وكان من بين هذه المؤكدات التأكيد لمؤكد الحرفي ومثال ذلك:

- قول النسوة:" إِنَّ لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ"، فقد جاء كلامهن مؤكدا بمؤكدين حرفيين "إن" و"اللام" لبيان مدى استنكارهن لفعل امرأة العزيز.
- قول امرأة العزيز:" وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"، جاء الكلام مؤكدا بمؤكدين حرفيين "إن" و"اللام"، وكان الغرض قطع الشك في براءة يوسف عليه السلام.
- قول النسوة:" قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا" وفي المثال دخلت "قد" على الفعل الماضي للتأكيد والتحقيق، وتقدير الجملة راودته لشغفها به.

7- أسلوب التكرار:

ورد التكرار في حوار امرأة العزيز بنوعيه، اللفظي والمعنوي:

- **التكرار اللفظي**: وقد ورد كليا وجزئيا من ذلك قوله تعالى:" يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"[44] و" يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ"[45] تكرار مباشر لعبارة " صاحبي السجن"
- **التكرار المعنوي**:" لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء" فالجملة الثانية جاءت مؤكدة لمضمون الأولى، ثم قول النسوة "قُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ " و "قُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ" فالجملة الثانية توكيد معنوي للجملة الأولى.

ج–وسائل الإقناع شبه منطقية:

1–حجة الاعتراف:

وتعتبر من أقوى الحجج في الإثبات والإدانة، ولا تحتاج لأي كيد، وهو الشيء الذي قامت به "زليخا" بعدما كشف أمرها، إذ أثبتت براءة يوسف مما نسبته إليه، فاعترفت مرتين كيدا على براءته، الأولى اعترافها أمام النسوة أنها أغوت يوسف وأصرت عليه فاستعصم "وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ"[46]، والثانية اعترافها أمام زوجها " أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"[47].

2–المغالطة المنطقية:

اعتمدت " زليخا" على تغليط المخاطب وتوجيهه نحو الوجهة الخاطئة، في قولها:" مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، تحدثت بنبرة المظلوم لتبعد عن نفسها التهمة، ووجهت زوجها إلى نوعين من العقاب "السجن" أو" عذاب أليم"، وحرصت على إبقاء يوسف حيا لإذلاله، وقد اعتمدت هذا النوع من المغالطة الإقناعية لإزالة تردد وشك زوجها، و لتغلق ب الدفاع عن يوسف عليه السلام.

3–الإقناع الواقعي:

هذا النوع من الإقناع يعتمد على الأدلة الواقعية العينية، ومثاله قوله تعالى:"فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"، فتمزيق القميص من الدبر يقتضي أن المجني عليه كان هار والجاني عليه كان يلحقه، فجذبه من الخلف فنتج عن ذلك الشد والجذب تمزيق الثوب، وهو شيء ظاهر للعين لا يمكن تكذيبه ي دليل كان.

ثالثا: آسية بنت مزاحم زوجة فرعون.

كانت آسية بنت مزاحم [48] مثال المرأة الصالحة الصابرة، الصامدة الثابتة على الحق رغم بنية الفساد التي تحيط بها، وما تفرضه من إغراءات ومساومات. فقد صدقت رسالة موسى عليه السلام، وآمنت ت ، وتبرأت من فرعون، وسألت بيتا في الجنة ...

أ- القرائن السياقية في حوار آسية بنت مزاحم:

استقرت مجموعة من بني إسرائيل في أرض مصر أ م نبي يوسف عليه السلام بعد أن نزحت من بلاد الكنعانيين، وكان هؤلاء موحدين حنفاء على دين إبراهيم الخليل عليه السلام بخلاف الفراعنة عبدة الأصنام والأو ن، مع تقدم الزمن تكاثر بنو إسرائيل، فخشي الفراعنة امتدادهم السياسي والديني في المجتمع المصري خاصة وأنهم خيار أهل زمانهم ، فراحوا يسومون نساءهم سوء العذاب، ويقتلون أبناءهم، إهانة لهم واحتقارا، قال تعالى:" وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ "[49]

ذكرت كتب ريخ الأنبياء والرسل أن فرعون رأى في منامه، كأن را قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط، ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والسحرة، و سألهم عن ذلك، فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه[50].

وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل... الذي بشر بولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه. كانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحتزز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل... لما أكثر فرعون من قتل ذكور بني إسرائيل، خافت القبط من فنائهم، فيقومون بما كان يقوم به بنو إسرائيل من أعمال شاقة، فقالوا لفرعون: إنه يوشك -إن استمر هذا الحال - أن يموت شيوخهم، وغلمانهم لا يعيشون، ونساؤهم لا يمكن أن

يقمن بما يقوم به رجالهم من الأعمال، فيخلص إلينا ذلك، فأمر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما، فولد هارون عليه السلام، في السنة التي يتركون فيها الولدان، وولد موسى عليه السلام في السنة التي يقتلون فيها الولدان[51]...

لما وضعته أمه ذكرا ضاقت به ذرعا، وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا، قال تعالى:" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّ رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ."[52] فتحقق الوعد الإلهي بحفظ لهذا الرضيع، بل إن فرعون سمح بعد إلحاح من زوجته لبحث عن مرضعة له حتى عثر على أم موسى لتقوم رضاعه.[53] ذلك أن دار أم موسى كانت على حافة النيل فاتخذت بو ، ومهدت فيه مهدا، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخاف جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عنها[54].

فلما كانت ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله، حتى مر به على دار فرعون، فالتقطته الجواري فاحتملنه، فذهبن به إلى امرأة فرعون، فلما كشفت عنه فإذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد من كرامتها وشقاوة بعلها، " فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنً "[55].

فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تحاج عنه وتدب دونه، وتحببه إلى فرعون، فقالت وقال تعالى:" وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا."[56] وقد حصل لها ذلك، وهداها به، وأسكنها الجنة بسببه...

وضح لنا مقام حوار امرأة فرعون أن نشأة موسى عليه السلام كانت وسط ظروف صعبة؛ استعباد وقتل وطغيان... لكن شاء له أن يعيش ويؤدي الرسالة التي بعث لأجلها، فبعد أن جعل نجاته بسبب آسية بنت مزاحم زوجة فرعون الطاغية، فقد دافعت

عنه أمام فرعون وأخذت تقنعه، مستعملة أسلوب الاستمالة المتحرر من القيود الرسمية " ـقُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاـتَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْـنَتَّخِذَهُ وَلَدًا "[57] فجاء الاقناع عاطفيا، اعتمد السجية في الدفاع عن موقف موسى وامتصاص غضب فرعون وانفعاله، مما يؤكد نجاح حوارها.

ب- أساليب الإقناع اللغوية في حوار آسية بنت مزاحم:

1-أسلوب النهي:

تمثل هذا الأسلوب في قول امرأة فرعون :" لا تقتلوه" بعدما وجه فرعون الأمر لجنوده بقتل موسى خوفا من أن يكون الوليد الذي يكون هلاكه على يده، فأوقع حب الرضيع في قلبها، لتدافع عنه وتوجه الأمر للجنود بعدم قتله، بصيغة تنم عن حب وتعاطف معه.

2-أسلوب التمني:

بعدما أمرت زوجة فرعون جنوده بعدم قتل موسى عليه السلام، لجأت إلى أسلوب الاستمالة كتبرير لموقفها فقالت: "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا" فتبريرها قائم على سببين أولهما حجته نفعية وهو الانتفاع به، والثاني حجته استعطافية وهو اتخاذه ولدا لهما، وهو شيء مقبول لدى فرعون الذي لا تحركه عاطفة تجاه هذا الرضيع، بل همه هو الانتفاع به وضمان استمرار ملكه...

3-أسلوب الأمر:

تي الأمر في الأصل لطلب الفعل على سبيل الإلزام، لكنه جاء لغير ذلك كثيرا على لسان آسية بنت مزاحم، بعدما اشتد بطش زوجها عليها، بتعذيبها وإلحاق الأذى بها، فتوجهت إلى عز وجل بدعاء في صيغة الأمر " رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ ـبَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[58] فمجيء الدعاء في صيغة الأمر يدل على إلحاح الداعي و شدة رغبته في تحقيق طلبه.

كما أن اسم رب في الدعاء دون اسم آخر من أسمائه الحسنى فيه صفة الربوبية واعتراف ولجوء إلى مصدر الخير أملا في الإجابة بكل معاني التربية والإنعام والتفضل ، كما أن حذف أداة النداء من قبل كلمة "رب " فيه إحساس لقرب من عز وجل، فآسية بنت مزاحم دت ربها نداء يصور أشواق النفس بكل تضرع طمعا في الرحمة.

4-ضمير المتكلم:

الضمير نيابة نحوية لكن له قوة إقناعية تؤمن التفاعل والاختلاف والانسجام بين المواقف داخل الخطاب، وقد تكرر ضمير المتكلم في خطاب آسية بنت مزاحم بشكل لافت، وذلك أثناء محاولتها إقناع فرعون بعدم قتل موسى عليه السلام، فتعدد صوت المتكلم المدافع عن فرضية المنتصر للقضية الذي هو صوت آسية بنت مزاحم؛ مدافعة عن موسى عليه السلام " لا تقتلوه"، و صوت المعارض الرافض هو صوت فرعون الذي خاف أن يضيع ملكه، ثم صوت المتردد الشاك (فرعون) الذي شك أن يكون الرضيع الذي أخبر عنه الكهنة و الذي سيكون هلاكه على يده.

هذا وقد حولت آسية بنت مزاحم كلامها من ضمير المتكلم المفرد "لا تقتلوه" إلى ضمير المتكلم بصيغة الجمع وحملته بشحنة انفعالية قوية في قولها: "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"، ولذلك دوره في إقناع فرعون لتراجع عن قتل موسى عليه السلام، فضمير الجمع مشهور في مخاطبة ذوي السلطان، ففيه تعظيم لفرعون من قبل زوجته لأنه سيخدم غرضها وما تروم إليه وترجوه، إضافة أنه يبرز أفكارها وعواطفها ومعتقداتها الذاتية.

ج-أساليب الإقناع شبه منطقية:

1-القياس البرهاني:

دافعت آسية بنت مزاحم عن موسى عليه السلام بكل ما أوتيت من بلاغة الكلام، فعمدت إلى قياس منطقي حتى تقنع فرعون لتراجع عن قتل موسى عليه السلام،

فقولها: "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"، فيه قياس على الأحوال المجربة في علاقة التربية والمعاشرة والتبني والإحسان، إذ الخير لا تي لشر، ففرعون بقبوله تبني موسى عليه السلام ستذوب شكوكه وينمحي تخوفه من احتمال أن يكون الوليد الذي حذره منه الكهنة.

2–حسن ترتيب أدلة الإقناع:

مما لا شك فيه أن ترتيب الأدلة المقنعة بشكل صحيح له لغ الأثر في خدمة الغرض الإقناعي، وهو الأمر الذي ركزت عليه آسية بنت مزاحم أثناء محاولتها إقناع فرعون بعدم قتل موسى عليه السلام، فقدمت نفسها في الكلام فقالت:" قرة عين لي ولك" وذلك يدل على براعة نظمها للقول وذكائها في ترتيبه؛ فنظم الكلام قضى بهذا الترتيب البليغ أن يجعل الوازع الطبيعي المبعد عن القتل هو وازع المحبة، و تي النهي بعده كوازع عقلي، العلة في ذلك احتياجه إلى إعمال الذهن وأخذ قسط من التفكير، فتكون مهلة التفكير بعد سماع النهي الممهد لوازع الطبيعي لا يخشى جماح السامع من النهي ورفضه إ ه.

رابعا: ابنتا شعيب عليه السلام.

كان حوارهما مع أبيهما ومع موسى عليه السلام في منتهى الحكمة والعقل والرجاحة خاصة بعد اعتمادهما على دلائل نفسية منها:

أ- القرائن السياقية في حوار ابنتي شعيب:

استوى موسى خلقا وخلقا لما بلغ أشده- وهو سن الأربعين في قول الكثيرين- وآ ه حكما وعلما، وبعدهما رسالة النبوة... خرج من بلاد مصر، في اتجاه أرض مدين وأقام بها، قال تعالى:" وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ"[59] أي يتضار ن "هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ"[60] أي إسرائيلي "وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ"[61] أي قبطي "فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ"... فأقبل إليه موسى "فَوَكَزَهُ"

قال مجاهد: أي طعنه بجمع كفه، وقال قتادة: بعصا كانت معه،"ـفَقَضَى عَلَيْهِ" أي فمات منها.[62] ولم يرد موسى قتله وإنما أراد زجره وردعه، و مع هذا قال موسى " هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُـنَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ـفَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ رَبِّ بِمَا ـأَنْعَمْتَ عَلَيَّ ـفَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ."[63]

أصبح موسى بمدينة مصر خائفا من فرعون وملئه، خاف أن يعلموا أن القتيل قتله موسى نصرة لرجل من بني إسرائيل، فتقوى ظنونهم أن موسى منهم و يترتب على ذلك أمر عظيم.

وهو يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم إذ ذلك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره لأمس يستصرخه على آخر قد قاتله، فلامه موسى على كثرة مخاصمته، قال له: "إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ" ثم أراد أن يبطش بذلك القبطي، الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي، فيردعه عنه ويخلصه منه، فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي" قَالَ ۔ مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ ـتَقْتُلَنِي كَمَا ـقَتَلْتَ ـنَفْسًا ۔لْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ"[64].

لما بلغ فرعون أن موسى هو قاتل ذلك المقتل لأمس أرسل في طلبه، وسبقهم رجل صح من طريق أقرب،" وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ"[65] ساعيا إليه مشفقا عليه فقال:" ۔ مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ ۔ْتَمِرُونَ بِكَ ـلِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ" أي من هذه البلدة "إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ"، قال تعالى: " فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ"[66] قائلا:" قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَلَمَّا ـتَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ ـيَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ."[67]

خرج خائفا بلا زاد ولا راحلة ولا صاحب يتعسف الطريق يمينا وشمالا كل الحشيش وورق الشجر حتى تشققت شفتاه..." وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ"[68] وهو بئر يسقون منها مواشيهم " وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ" أنعامهم "وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ" غنمهما من الماء الذي يشرب منه أنعامهم وهما ابنتا شعيب، فلما رآهما كذلك رق لهما

وأ هما وسألهما و" قَالَ مَا خَطْبُكُمَا" لم لا تتركان غنمكما تشرب مع غنم القوم؟" قَالَتَا لَا نَسْقِي" فلا يجوز لنا أن نسقي إلى أن " يُصْدِرَ الرِّعَاءُ" أي لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، نسقي غنمنا من فضلة مائهم إن بقي شيء، فقال لهما: ولم؟ قالتا: ذلك لأننا على دين آخر غير دينهم، قال: ومن أنتما؟ قالت: نحن ابنتا شعيب وهو مسلم وهؤلاء كفرة، قال: وأين أبوكما؟ قالتا:" وَأَبُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ" أعمى لا يقدر على الخروج وليس لنا من يسقي لنا مواشينا، فلما سمع ذلك منهما جاء إلى القوم فقال لهم، مالكم لا تسقون غنم هاتين الضعيفتين؟ فقالوا له: أنت أشفق عليهما منا، فاسق غنمهما استهزاء به فزاحم موسى على البئر ونحاهم عن الماء وأخذ الدلو وجعل ينتزع الماء فيسقي لهما.[69]

قال بعض الرواة: رجع موسى إلى ظل شجرة هناك، فقام إلى جنبها يصلي وقد أجهده الجوع فلما فرغ "ـفَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَاـأَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"[70]...

رجعت البنتان إلى أبيهما كرا على غير العادة، وكان شعيب يتلمس بطون غنمه كل يوم ينظر إلى رتبها فقال لهما: ما الذي أسرع برجوعكما اليوم مع ما أرى من امتلاء بطون الأغنام أكثر مما أعهده كل يوم، و قصتا عليه قصة موسى... فقال شعيب لصغراهما: عجلي علي لرجل فإنه جائع لنجزيه على حسن صنعه،" فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا"[71].

ذهب موسى معها إلى شعيب... فأطعمه وسقاه، فلما فرغ موسى من طعامه أخذ شعيب يسأله عن أمره، وشأنه ونسبه، وخروجه من بلده فأخبره بكل شيء ، قال تعالى:"ـفَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[72] عرف شعيب أنه من بيت النبوة وأخبره أنه آمن وليس لفرعون على مدين حكم ... ثم إن إحدى ابنتي شعيب قالت لأبيها:" َ أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ."[73]

تزوج موسى عليه السلام حدى ابنتي الرجل الصالح، وقد كان تعبيرها عن إعجابها بموسى مطابقا لما وصفها به القرآن الكريم "على استحياء"، كان الحياء يغلب على كلامها، فقد عرضت مانته وصلاحه وطلبت من أبيها استئجاره.

ب- أساليب الإقناع اللغوية في حوار ابنتي شعيب:

1-الجمل الإخبارية:

- **الخبر الابتدائي**: وهو الخبر الخالي من المؤكدات، ونجد هذا النوع من الخبر في قول إحدى ابنتي الرجل الصالح " وَأَبُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ"[74]، فقولها هذا جاء في سياق الإخبار وحجة تبرر من خلالها سبب خروجهما للسقي مع الرجال، وذلك لعدم وجود رجل يسقي لهما، فالرجل الوحيد الموجود هو أبوهما وهو شيخ كبير لا يستطيع ورود الماء لضعفه عن المزاحمة.
- **الخبر الطلبي**: هذا النوع من الخبر تي في الكلام لإزالة الشك والإبهام، وقد تكرر مرتين في حوار ابنتي الرجل الصالح:

* في قول إحداهما " إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا "[75] فقد أبعد الشك في كلامها لمؤكد الحرفي "إن"، وأكدت في الوقت نفسه ما أخبرت به هي وأختها موسى عن ضعف أبيهما وعدم قدرته على السقي.

* في الحوار الذي دار بين الرجل الصالح وإحدى ابنتيه إذ قال:" إن خير من استأجرت القوي الأمين"، فقولها مؤكد بنفس المؤكد الحرفي "إن"، إلا أن الغرض ليس إزالة الشك وإنما للتذكير لمعروف الذي قدمه موسى لهما حين سقى لهما، وأيضا لتقنع أ ها ستئجاره لما رأت منه من قوة وتعاطف، وقد أكد النص القرآني أدبها وحياءها بوصف مشيتها.

- **الجملة الحالية**: ومثالها:" فجاءته إحداهما تمشي على استحياء"[76]، "الفاء" تحيل على أن شعيبا لم يتريث في الإرسال وراءه، كما تؤذن ن استجاب لموسى عليه السلام

فأرسل وراءه ليضيفه ويزوجه ابنته، إذ ذلك يضمن له أنسا في دار غربة ومأوى وعشيرا صالحا.

أما جملة "تمشي على استحياء"، فهي جملة حالية تصف حياء ابنة شعيب بطابع مجازي استعاري، فقد ذكر "تمشي" ليبني عليه قوله "على استحياء"، و إلا فإن "جاءته" مغن عن ذكر "تمشي"، وحرف الجر "على" للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف، والمعنى أنها مستحيية في مشيها، أي تمشي غير متبخترة و لا مظهرة زينة[77].

فالصورة التي وصف بها استحياء ابنة شعيب لا نظير لها في كافة التعبيرات الإنشائية البلاغية، إذ استعارة المشي الحقيقي لمجازية الاستحياء يجعل منها لوحة تعكس قمة الإعجاز التصويري في القرآن الكريم.

2-أسلوب الحذف:

غالبا ما يستخدم أسلوب الحذف في الخطاب للاختصار، وإبراز قيمة المذكور وتسليط الضوء عليه لأهميته، وقد وقع في حوار ابنتي شعيب مع موسى سكوت عن مجموعة من الأحداث لأنها تفهم من السياق ولا حاجة لذكرها، فقد ذكر القرآن الكريم وصول موسى عليه السلام إلى مدين ومساعدته للمرأتين، ثم حذف حوار المرأتين مع أبيهما عن إحسان موسى معهما، وإعجاب الأب به وتشوقه لمعرفته ليختزل الكلام في قوله عز وجل :" أبت استأجره إن خير من استأجرت الصادق الأمين."

وفي الأحداث التي ذكرتها الآ ت هناك حذف للمفعول في أربعة مواضع:

1- في " وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ"[78]، إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم.

2- في " وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ"[79] أي امرأتين تذودان غنمهما.

3- في " قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء " [80] والمعنى لا نسقي غنمنا.

4- في " فَسَقَى لَهُمَا "[81]، أي فسقى لهما غنمهما.

فبلاغة الحذف في أن حذفت كلمة "الأغنام" تفاد للتكرار والمعاودة، واعتمد على السياق لإيضاح المعنى، فتم التركيز على السقي لأهميته ولم يذكر المسقي لخروجه عن الغرض.

ج- وسائل الإقناع شبه منطقية:

1-الحجة السببية:

هذا النوع من الحجج يصنف ضمن الحجج المؤسسة لبنية الواقع، التي تتأسس على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم، ومحركها الأساس هو التفسير والتوضيح والتعليل للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وكل الأشياء المحيطة به... وقد اعتمدت ابنتا شعيب هذا النوع من الحجج كوسيلة للإقناع في قول إحداهما:

- "لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبو شيخ كبير" فيه تعليل ضمني لسبب خروجهما للسقي، والمتمثل في أن والدهما رجل طاعن في السن لا يقدر على الخروج.
- " إن خير من استأجرت الصادق الأمين" تعليل، والتقدير: استأجره لأنه قوي أمين.
- " إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا" قدمت محاورة موسى عليه السلام تعليلا وتفسيرا لسبب دعوتها له كي تدفع عن نفسه الظنون.

2-الاستدلال بالواقع:

تضمن جواب ابنتي شعيب على موسى عليه السلام استدلالا من الواقع، فجوابهما لما " قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء"، أ ن عن الوضع المشين الذي تعيشه المرأة في مجتمع غابت فيه المروءة، إذ عجزهما عن المزاحمة وخوفهما من الرجال الأقو ء، دليل صدق قولهما ومطابقته للواقع الذي يراه موسى أمامه...

أ- وسائل الإقناع اللغوية في حوار مريم عليها السلام:

1-أسلوب التأكيد:

التأكيد تمكين الشيء في نفسه، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد كوسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم... وفي حوار مريم عليها السلام تجسد أسلوب التأكيد نواعه المختلفة مؤد مهمة الإقناع، من ذلك:

التأكيد بالمؤكد الحرفي: من ذلك:" قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ ِلرَّحْمَن مِنكَ"[82] فمريم عليها السلام خافت من الملاك الذي تمثل لها في صورة بشر، فظنته رجلا يريدها لنفسها، ومجيء حرف التوكيد "إن" في بداية كلامها دليل على يقينها بحماية ربها لها و كيد على ذلك، وتخويف له من عقوبة وعذابه.

ومن المؤكدات الحرفية أيضا في حوار مريم عليها السلام "قد" التحقيقية، في قوله تعالى:" قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا"[83] ف "قد" في الآية الكريمة تفيد التحقيق والتأكيد، فأمر عز وجل الذي جاء على لسان نبيه مؤكد لا ريب فيه.

التأكيد بتكرار اللفظ: كالمفعول المطلق في قوله تعالى:" نَسْيًا مَّنسِيًّا"[84] أي لم أخلق ولم أكن شيئا، فمريم عليها السلام تمنت الموت لأنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها...

- **التأكيد بجملة تقريرية:** من ذلك قوله تعالى:" فقولي إني نذرت للرحمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيا" فالجملة الثانية جاءت مفسرة ومؤكدة للجملة الأولى، فالمراد لصوم في الجملة الأولى الصمت وقد أكدته الجملة الثانية. **التأكيد بالجملة الشرطية:** ومثاله قوله تعالى:" إني أعوذ لرحمان منك إن كنت تقيا" فقد تعوذت لله من الملاك الذي جاءها بهيئة رجل، أن ينال منها ما حرم عليه، فالجملة الشرطية " إن كنت تقيا" جاءت مدعمة لمعنى الأولى، وبسبب منها، فقد ربطت عليها السلام اتقاءه لله وصلاحه بعدم إيذائها...
- **التأكيد بالتمثيل:**ومثاله:" قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا "[85]، "كذلك" تفيد التحقيق إذا كونت هي ومبتدؤها جملة مستقلة، كما في هذه الآية... مريم عليها السلام في موقف تعجب من أن يكون لها غلام ولم يمسسها بشر، فقولها " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا"[86] أي من أي وجه يكون لي غلام فأرزق به دون أن يمسسني رجل؟ فكان الجواب من رب العزة: " هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ"[87] .

2-أسلوب المجاز:

يعتبر التقريب المجازي أبلغ وأقوى من المعنى الصريح وقد اعتمده أسلوب القرآن كثيرا ومنه قوله تعالى:" وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا"[88] الكلام في الآية الكريمة يعود على مريم عليها السلام، فالله عز وجل أنشأها إنشاء طيبا حسنا ن طهرها، ونزهها نزاهة الظاهر والباطن، فشبه ذلك نبات النبات، وهذا النوع من المؤكدات له لغ الأثر في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي وتبيينه له، فهو يوظف للإ رة والتأثير وإعمال الذهن...

3-أسلوب القصر:

يستخدم القرآن الكريم ألوا من القصر عندما يراد إثبات الحكم لمذكور أو نفيه عما عداه،

ومن أقوى أدواته (ما و إلا) لما فيهما من وضوح معنى القصر في مجال الشك والإنكار، من ذلك قوله تعالى على لسان جبريل عليه السلام: " إِنَّمَا أَ َ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا"[89] فخوف مريم عليها السلام من الملاك الذي جاء على هيئة رجل استدعى التأكيد لأسلوب الذي يستخدم في مواقف الشك والإنكار وهو أسلوب القصر الذي خفف من خوفها لما أخبرت أنه رسول من عز وجل لا يريد بها أذية ولا ضررا.

4-أسلوب الاستفهام:

الاستفهام في حوار مريم عليها السلام أغلبه جاء في سياق التعجب فكان أبلغ و أعمق في نفس المتلقي، من ذلك:

- " َ مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا"، يسأل زكر عليه السلام مريم عن الرزق الذي يجده عندها كلما دخل عليها، فقد كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء و فاكهة الشتاء في الصيف، و هذا أمر يثير التعجب لما فيه من خرق للسنن الكونية، فسؤاله لم يكن بغرض معرفة شيء لم يكن معلوما وقت الطلب فحسب، بل تجاوزه إلى غرض آخر يعرب عن انفعاله النفسي، إنه التعجب. كان ردها ردا كافيا شافيا مزيلا لتعجبه إذ قالت " هُوَ مِنْ عِندِ ا ّ " فالله القادر على كل شيء لا يعجزه أن يمدها برزق حتى وإن لم يكن ذلك أوانه.
- " قالت أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر"، هو استفهام والغرض منه أيضا التعجب، فمريم عليها السلام تتعجب من وقوع الحمل دون وقوع سببه، إلا أن تعجبها لم يكن إنكارا لقدرته عز وجل، وإنما خوفا من الفضيحة والعار، واتهام قومها لها لفاحشة.

- "كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"، الغرض من هذا الاستفهام ليس معرفة شيء لم يكن معلوما لديهم، بل التهكم والسخرية والازدراء، فقد كانت يومها صائمة عن الكلام، وأشارت لهم إلى مخاطبة ابنها، فهم لا يتصورون أن يتكلم من هو في المهد، لكن معجزة أسكتت أفواههم وألجمت ألسنتهم ن تكلم ابنها في مهده، وأثبت براءة أمه، وأثبت لنفسه العبودية لربه.

ج- وسائل الإقناع شبه منطقية:

1-الإقناع بالنقيض:

هذا النوع من وسائل الإقناع المنطقية يعتمد على ربط السبب لعلة، وقد اعتمدت عليه مريم عليها السلام لإثبات استحالة حملها دون وقوع سببه " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ." فسبب الحمل لم يقع وكل القرائن تثبت ذلك: عدم مغادرتها لبيت المقدس + نشوؤها على يد نبي من أنبياء عرف بصلاحه... فمريم عليها السلام احتجت لنفسها بحجة من الواقع، ويعتبر هذا النوع من الاستدلال من أنجع وسائل الإقناع.

2-الإقناع بالتراتب:

السلم التراتبي لأحداث قصة مريم عليها السلام ابتدأ بعزلتها في خلوتها، ومجيء الملك على هيأة رجل، ونفخ تعالى الروح في رحمها، فالحمل فالإنجاب... فالخوف من القوم والتخفي ثم المواجهة.

وقد دافعت مريم عن نفسها وشرفها بتقديم مجموعة من الحجج المقنعة كان أقواها تكلم عيسى عليه السلام في المهد مر من عز وجل، حجة دامغة ألجمت أفواه قوم مريم، وأعلي بها الحق وأزهق ما كانوا يتهمونها به من بغي.

3-الإقناع بالعقل:

دافعت مريم عليها السلام عن عرضها بمنطق عقلي أمام الملك الذي جاءها على هيأة رجل، فقولها: " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" دفع للشبهة من وجهين الأول أنها غير متزوجة وهذا شيء واقع، والثاني أنها ليست بغي، وهذا أيضا يدعمه الواقع، فهي الصالحة الطاهرة الناسكة المتعبدة...

على سبيل الختم

أولا: أ نت المقامات المحيطة لحوارات، عن مدى قوة المرأة في مواقفها المختلفة، سواء كانت أمّاً كما هو شأن حوار أمّ موسى وأمّ مريم الذي جاء في سياق التضرع، أو كانت ذات سلطة مثل بلقيس صاحبة الحكمة والحنكة ورجاحة العقل وسلامة التفكير وحسن التصرف وامرأة العزيز نموذج السلطة والترف وحب التملك، أو كانت في موقف طلب الاستغاثة كما هو الأمر مع زوجة الطاغية فرعون، أو كانت في موقف المواجهة للدفاع عن الشرف كما مر في حوار مريم عليها السلام... والمميز لهذه الحوارات طابعها العفوي وما يتسم به من لغ الأثر في التأثير والاستمالة وجعل الطرف الآخر قابلا للاقتناع والإذعان.

ثانيا: كل الحوارات النسائية التي وقفنا عليها في القرآن الكريم إضافة إلى إعجازها البياني سست على بنية عقلية منطقية، وقامت على مبدأ التعليل والاستدلال في معالجتها قضا : عقدية ومواضيع اجتماعية وخلقية، فأظهرت مكانة المرأة البالغة حين جعلت صوتها مسموعا داخل القصص القرآني، وبينت أسلوبها التعاملي الذكي في مختلف المواقف، وبراعتها في فن التفاوض واستخدام الأدلة المؤثرة، وتمكنها من سبك الأدلة الإقناعية لتحقيق الغلبة على الخصم: زوجة، وأما، وأختا، وملكة، وفتاة عابدة.

ثالثا: تميزت أساليب الإقناع في حوار المرأة في القرآن الكريم لآتي:

– كونها حوارات محكمة الأسلوب والبنية والدلالة بهدف إبراز المعنى.

– كونها حوارات مؤسسة على الحجج الواقعية والمنطقية ومدعمة مثلة، الشيء الذي يجعلها أكثر إقناعا واستمالة للمتلقي.

– كونها حوارات دقيقة في التصوير، و رعة في الأداء والتعبير والوقوف على التفاصيل الصغيرة، مما جعلها ترتقي أعلى المستو ت اللغوية والبلاغية معنى ولفظا.

– كونها حوارات تعتمد الجانب العاطفي والوجداني كوسيلة للإقناع والاستمالة، بعيدة عن التكلف وقريبة من العفوية، مشبعة بكل سمات السكون والهدوء.

– كونها حوارات تعتمد السرد الوصفي التفصيلي، الذي يلعب دورا كبيرا في الإقناع واجتذاب المتلقي.

الهوامش

[1] سورة الأنعام، الآية 149.

[2] سورة النساء، الآية 1.

[3] سارة بنت هاران وهي بنت عم إبراهيم عليه السلام، أحسن نساء العالمين، فعن ابن عباس رضي عنه أن تعالى قسم الحسن عشرة أجزاء فأعطى ثلاثة منها لحواء وثلاثة منها لسارة وثلاثة منها ليوسف وجزء واحدا في سائر الناس، وكانت سارة لا تعصي إبراهيم بشيء، وبذلك أكرمها بما أكرمها به وقيل: كان أعطاها صورة الحور العين، إلا أنه لم يكن لها صفاوقمن وطهرهن (الخطيب البغدادي، ريخ الأنبياء، ص 77)

[4] سامي بن عبد المغلوث، أطلس ريخ الأنبياء و الرسل، مكتبة العبيكان – الر ض، ط1 / 1998م، ص 100.

[5] المرجع نفسه، ص 105.

[6] سامي بن عبد المغلوث، أطلس ريخ الأنبياء و الرسل، ص 105.

[7] سورة العنكبوت، الآية 27.

[8] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي ، قصص الأنبياء، ت: عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط 5 / 1997، ص 210.

[9] سورة هود، الآية 71.

سورة الذار ت، الآية 29.[10]

السورة نفسها والآية نفسها.[11]

[12] سورة هود، الآية 72.

[13] السورة نفسها والآية نفسها.

[14] السورة نفسها، الآية 73.

[15] سورة الحجر، الآية 54 – 55.

سورة الصافات، الآية 101.[16]

[17] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء، ص: 211.

[18] سورة هود، الآية 70.

[19] سورة الحجر، الآية 52.

[20] السورة نفسها، الآية 53.

[21] سورة الذار ت، الآية 30.

[22] إطلاق لقب الملك في هذه الفترة يعتبر من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم، فقد ذهب لقب فرعون لحاكم مصر في حوالي ستين آية من القرآن الكريم إلا في سورة يوسف فقد جاء ذكر لقب ملك...

[23] زوليخا بنت أخت الملك الر ن بن الوليد صاحب مصر وامرأة الوزير، كانت في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب.

[24] سورة يوسف ، الآية 21.

[25] السورة نفسها، الآية 30.

[26] سورة يوسف، الآية 23.

[27] السورة نفسها، الآية 24.

[28] السورة نفسها، الآية 25.

[29] السورة نفسها، الآية 26.

[30] السورة نفسها، الآية نفسها.

[31] السورة نفسها، الآية 27.

[32] السورة نفسها، الآية 28.

[33] السورة نفسها، الآية 29.

[34] السورة نفسها، الآية 51.

[35] سورة يوسف، الآية 30.

[36] السورة نفسها، الآية 53.

[37] السورة نفسها، الآية 28.

[38] سورة يوسف، الآية 30.

[39] السورة نفسها، الآية 31.

[40] السورة نفسها، الآية 53.

[41] سورة يوسف، الآية 32.

[42] الطبري، جامع البيان عن ويل آي القرآن، ت: بشار عواد معروف وعصام فارس، مؤسسة الرسالة، ج4، ص 351.

[43] سورة يوسف، الآية 33.

[44] سورة يوسف، الآية 39.

[45] السورة نفسها، الآية 41.

[46] السورة نفسها، الآية 32.

[47] السورة نفسها، الآية 51.

[48] هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الر ن بن الوليد، زوجها فرعون مصر زمن يوسف عليه السلام، و قيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى، و قيل بل كانت عمته، حكاه السهيلي (انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء، ص371.)

[49] سورة البقرة، الآية 49.

[50] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء ، ص 378.

[51] المصدر نفسه، ص221.

[52] سورة القصص، الآية 7.

[53] سامي بن عبد المغلوث، أطلس ريخ الأنبياء و الرسل، ص 146.

[54] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص121.

[55] سورة القصص، الآية 8.

[56] سورة القصص، الآية 9.

[57] السورة نفسها ، الآية 9.

[58] سورة التحريم، الآية11.

[59] سورة القصص، الآية 15.

[60] السورة نفسها، الآية نفسها.

[61] السورة نفسها، الآية نفسها.

[62] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء، ص 384.

[63] سورة القصص، الآ ت 15 – 16- 17.

[64] السورة نفسها، الآية 19.

[65] سورة القصص، الآية 20.

[66] السورة نفسها، الآية 21.

[67] السورة نفسها، الآية 21 – 22.

[68] السورة نفسها، الآية 23.

[69] الخطيب البغدادي، ريخ الأنبياء، ص 165.

[70] سورة القصص، الآية 24.

[71] السورة نفسها، الآية 25.

[72] سورة القصص، الآية 25.

[73] السورة نفسها، الآية 26.

[74] السورة نفسها، الآية 23.

[75] السورة نفسها، الآية 25.

[76] سورة القصص، الآية 25.

[77] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج 20، ص 103.

[78] سورة القصص، الآية 23.

[79] سورة القصص، الآية نفسها.

[80] السورة نفسها، الآية نفسها.

[81] السورة نفسها، الآية 24.

[82] سورة مريم، الآية 18.

[83] السورة نفسها، الآية 24.

[84] السورة نفسها، الآية 23.

[85] السورة نفسها، الآية 21.

[86] السورة نفسها، الآية 20.

[87] السورة نفسها، الآية 21.

[88] سورة آل عمران، الآية 37.

[89] سورة مريم، الآية 19.